قضايا ترجمة القَصص في القرآن الكريم "قصة سليمان نموذجا"

سعيد قطفي

مختبر الترجمة وتكامل المعارف، المغرب

sskatfi@gmail.com MOROCCO

هدى روض

مختبر الترجمة وتكامل المعارف، المغرب

raoud.houda@hotmail.com MOROCCO

Abstract:

Many researchers have studied the Quranic Story, but they only focused on features, which have to do with the Prophetic call and all what it tries to provide people with, such as wisdom, giving the example as well as directing and guiding the human behavior. However, the Quranic Story encompasses some important narrative elements that would make it subject to theorizing. Previous researchers have ignored the main narrative characteristics, which characterize the miraculous Quranic Story. This is briefly the rationale behind research on the Quranic Story through the Story of 'Solaimane' (Peace Be Upon Him) in order to answer the following three questions: 1.Can we talk about a Narrative Theory that would help us make a special theory for the Quranic Story? 2.What are the general features, which characterize the Quranic Story?. Can translation preserve the meaning and narrative elements of the Quranic Story?

Key Words : Translation-Quranic Translation-Naratology-Quranic stories-Narratives

ملخص:

يشتمل القصص القرآني على جوانب سردية مهمة، تجعله لأن يكون في مقام التأصيل والتأسيس والتنظير، غير أنه لم ينظر إلى قصصه، إلا من خلال الجوانب المتصلة بالدعوة النبوية وما تحمله من حكمة وموعظة وضرب للمثل توجيها وتقويما للسلوك البشري، غافلة بذلك السمات السردية الكبرى التي يتوفر عليها القَص القرآني المعجز. من هنا تنبثق فكرة البحث في القَصص القرآني، وذلك من خلال قصة سليمان عليه السلام، بغية الإجابة على ثلاثة أسئلة رئيسة وهي: هل يمكن الحديث عن نظرية سردية، تسعفنا لوضع هندسة للقصة القرآنية .ما هي السمات العامة التي تتميز بها هندسة القصة القرآنية .هل يمكن للترجمة أن تنقل هندسة القصة دون تشويهها .

الكلمات المفتاحية: القصص القرآني– ترجمة القصص القرآني– قصة سليمان– السرد– الترجمة

مقدمة

يشتمل القَصص القرآني على مقومات سردية مهمة، تؤهله ليكون نموذجا لتأصيل الأدب السردي وتأسيسه وتنظيره، غير أن الدارسين لم ينظروا إليه، إلا من خلال الجوانب المتصلة بالدعوة النبوية، وما تحمله من حكمة وموعظة وضرب للأمثال توجيها وتقويما للسلوك البشري، غافلين عن السمات السردية الكبرى التي يتوفر عليها القَص القرآني المعجز. من هنا تنبثق فكرة هذا البحث في القَصص القرآني، وذلك من خلال قصَّة سليمان عليه السلام، قصد الإجابة على ثلاث أسئلة رئيسة، وهي:

1. ما هي السمات العامة التي تتميز بها هندسة القصَّة القرآنية؟
2. هل يمكن الحديث عن نظرية سردية، تسعفنا في رسم هندسة للقصَّة القرآنية؟
3. هل يمكن للترجمة أن تنقل هندسة القصَّة دون تشويهها معنى ومبنى؟

1-حول السرد في القصص القرآني:

يجمع أغلب دارسي القرآن الكريم على أنّ "**قَصَصَهُ**" سيقت من أجل غرض دَعَوي؛ يقوم على خدمة الدعوة المحمدية عن طريق ما تحمله من حكم ومواعظ وعبر وأمثال، توجيها وتقويما للسلوك البشري، وتثبيتا لفؤاد النبي الكريم يقول سيد قطب: "القصة في القرآن ليست عملا فنيا مستقلا في موضوعه وطريقة عرضه وإدارة حوادثه . كما هو الشأن في القصة الفنية الحرة؛ التي ترمي إلى أداء غرض فني طليق . إنما هي **وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى أغراضه الدينية، والقرآن كتاب دعوة دينية قبل كل شيء، والقصة إحدى وسائله لإبلاغ هذه الدعوة وتثبيتها**"[1].

ونحن هنا لا نحاول أن ننفي ما ذهب إليه هؤلاء الدارسون بل على العكس من ذلك، نسعى إلى الوقوف عند العلاقة التي تربط بين الغرض الدعوي والبناء الفني الفريد "**للقصَّة القرآنية**" من جهة، والمشاكل التي يطرحها هذا الترابط عند محاولة ترجمة القَصَص القرآني إلى لغات أخرى من جهة ثانية.

[1]-التصوير الفني في القرآن: 143، ولتفصيل هذه الأغراض؛ ينظر الصفحة 144 وما بعدها من الكتاب نفسه، وينظر أيضا: تفسير التحرير والتنوير: 64/1، وكتاب القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته: 10 وما بعدها، وكتاب مقدمة في الدراسات القرآنية: ص 357 وما بعدها.

ومن المعلوم أن ترجمة معاني القرآن الكريم تحتاج إلى موسوعة معرفية شاملة، لا تشمل فقط ما يتصل بالقرآن الكريم مباشرة؛ بل تشمل أيضا علوما أخرى من قبيل الإعجاز العلمي، ونظرية "**الإعجاز الترجمي**"[1]، الذي يُعَدُّ وجها"من وجوه إعجاز كتاب الله"[2]؛ حيث أكدت هذه النظرية أن كل الترجمات التي دارت رحاها حول القرآن الكريم ما هي إلا هيكل **عظمي قد فارقه الجمال، وظل جمال إعجاز القرآن خَبْءً بين آياته.**

وهناك نظرية أخرى لا تقل أهمية عن نظرية "الإعجاز الترجمي"، وهي نظرية "**السرد القصصي في القرآن الكريم**" فهي تجمع بين الإعجاز الترجمي والإعجاز اللغوي والنظم القصصي، وكل النظريات السردية التي حاولت أن تضع إطارا واحدا يصلح لكل القوالب السردية البشرية، لم تفلح إلى حدود هذه الساعة في ذلك، فكيف لها أن تكون إطارا نظريا يقف عند مخبوء "**القَصَص القرآني المعجز**". إن قَصَصَ القرآن الكريم ليست "رواية تؤخذ من رف خزانة"[3]؛ يمكن إخضاعها لتلك النظريات السردية. فكل "ما يصلح تطبيقه على الكلام البشري لا يصلح بالضرورة تطبيقه في الكلام الإلهي"[4].

إن النص القرآني له من الخصوصيات اللغوية والفنية والقَصَصية ما "يؤهله لأن يكون في مقام التأصيل والتأسيس"[5]، وما علينا نحن، إذن، إلا أن نستخرج منه تلك الآليات والأسس النظرية التي تظهر وتبين نظمه القصصي وسرده الإعجازي الثقيل، لنحاكم بها كل النصوص البشرية الخفيفة، بما فيها نصوص ترجمة معاني القرآن الكريم، لتكون بذلك نظرية "السرد القَصصِي في القرآن الكريم" هي المقياس الذي نحكم به على فنية القول البشري بدل أن يكون العكس.

لقد سعت كثير من الأبحاث والدراسات[6] إلى الوقوف عند الخصوصيات الفنية للقصَّة القرآنية، مسترشدة في ذلك بنظريات أجنبية،غير أنها تصدم بعدم قدرة تلك النظريات على أن تكون إطارا نظريا يصلح لدراسة **"قصص القرآن المعجزة"، وهذا أمر يجب التسليم به "لأنه عوض أن ينظر إلى النص كما ورد، ينظر إليه كما كان**

[1]- ينظر: مقال "الإعجاز الترجمي في القرآن الكريم نحو بناء نظرية بيانية لترجمة معاني القرآن الكريم" للدكتور عبد الحميد زاهيد، ضمن سلسلة الترجمة والمعرفة العدد 2.

[2]- نفسه: 2.

[3]- الإعجاز الترجمي: 10.

[4]- نفسه: 8.

[5]- مستويات السرد الإعجازي في القصة القرآنية: 163.

[6]-ينظر على سبيل المثال: الفن القصصي في القرآن الكريم، محمد خلف الله أحمد.

ينبغي أن يكون"[1]. **لقد أعجز القرآن الكريم العرب الفصحاء قديما وحديثا، فكيف له ألا يعجز هذه النظريات؟** وهذا ما يجعلنا نعلن من البداية أننا لن نعتمد في دراستنا "قضايا ترجمة القَصَص في القرآن الكريم 'قصة سليمان نموذجا'"، أيَّ نظرية سردية، ولكننا سننظر إلى النص القرآني كما ورد لا كما ينبغي أن يكون، والله المستعان وعليه فليتوكل المتوكلون.

2- قضايا ترجمة القَصَص في القرآن الكريم "قصة سليمان نموذجا":

لقد ذُكر سليمان عليه السلام في القرآن الكريم سبع عشرة مرة، في سبع سور في ست عشرة آية[2]، بحيث استأثرت "سورة النمل" بالقسم الأكبر من قصة سليمان مع النملة والهدهد وملكة سبإ، ثم تليها "سورة ص" و"سورة سبإ"، وسنقتصر في دراستنا ـ على هذه السور الثلاث فقط؛ لأنها تشكل المعالم الكبرى لقصة سليمان عليه السلام ـ موضوع الدراسة ـ وسنحاول من خلالها إبراز السمات الفنية الكبرى لبناء القصة القرآنية، كما سنتوقف عند ترجمة (عبد الله يوسف علي) لمعاني القرآن الكريم، وننظر فيها إن كانت قد تحققت فيها سمات هذه القصة أم لا؟.

تتميز قصة سليمان عليه السلام؛ بروعة النظم وبديع الصنعة وجمال الموضوع، وإعجاز اللغة وقوة التصوير، وصدق الحكي وحجة الإقناع، وهي ـ بمنزلة السورة في القرآن ـ مرتبطة بسبب نزول دعا إلى حضورها ضمن سياق النص القرآني، غير أن حضورها ـ المتناسب وسياق السورة ـ فرض عليها نوعا خاصا من الإيراد، فجاءت هذه القصة، كباقي قَصص القرآن الكريم تقريبا، على نمط واحد من السرد الإعجازي المعجز الذي تتشكل منه قصص القرآن الكريم، والتي يمكن تحديدها في: أولا: **أصحاب القصة**، ثانيا: **أحداث القصة**، ثالثا: **حوار القصة**، رابعا: **تصوير القصة**، خامسا: **لغة القصة**.

أولا: أصحاب القصة

تتميز القصة القرآنية بقوة حضور أصحابها، فهم عناصر رئيسة من عناصر بناء القصة في القرآن الكريم، إذ يساهمون في "بناء الأحداث ويتفاعلون معها، وهم الذين يتخاطبون فيما بينهم ويتحاورون"[3]، وبما أن القصة القرآنية لا تخلو من أحداث، فإنها لا تخلو أيضا من أصحاب، وقد يكون هؤلاء الأصحاب؛ أناسا مثل: سليمان

[1]- الحكاية والتأويل: 70.

[2]-ذكر سبع مرات في سورة النمل/ الآيات:15 و16 و17 و18 و30 و36 و34. وثلاث مرات في سورة الأنبياء/ الآيات:78 و79 و81، ومرتين في سورة البقرة/ الآية 102، ومرتين في سورة ص/ الآية 30 و34، ومرة واحدة في سورة النساء/ الآية 163، وفي سورة الأنعام /الآية 84، وفي سورة سبأ/ الآية 12. وتجدر الإشارة إلى أننا سنعتمد السور التي ذكرت فيها قصة سليمان أو بعض أجزائها.

[3]- أسس بناء القصة من القرآن الكريم: ص، 167.

وملكة سبإ، أو حيوانا مثل: النملة والهدهد، وهناك أصحاب "عابرون في القصة القرآنية لا يذكرون إلا في معرض الإشارة إلى دورهم (...) وإغفال الأسماء للدلالة على أنها ليست مهمة"[1]، وقد يُكتفى بالإشارة إليهم لأنهم أسهموا في بناء الحدث.

وكل صاحب من أصحاب القصة له دوره الكبير في بناء القصة، فحتى أولئك العابرون يسهمون في إظهار صاحب القصة المحوري، على الرغم من أن القصة القرآنية لا تولي اهتماما لهذه الثنائية (رئيسي أو محوري في مقابل ثانوي)، غير أن القرآن الكريم عندما يهمل أحدا من الأصحاب؛ فإنه يهمله في سياق السورة بشكل عام، لا في سياق القصة المفردة، أو قد يشير إليه في موطن آية ويعرض عنه في آيات أخرى، وهذا من الإعجاز السردي للقصة القرآنية. ولتعدد أصحاب قصة سليمان عليه السلام وتعدد وظائفهم فإننا سنتوقف عند **النملة الملكة**، نظرا لأهميتها داخل القصة.

أ– النملة (الملكة):

تعد قصة سليمان عليه السلام من بين قصص القرآن الكريم القليلة التي جمعت بين أصحاب ينتمون إلى عالم الغيب، وآخرين ينتمون إلى عالم الشهادة، وهما معا يشتركان ـ كما أشرنا سابقا ـ في بناء الأحداث وفي خلق الحوار مع بعضهم البعض، ومن بين هؤلاء الأصحاب الذين ينتمون إلى عالم الشهادة **النملة**، التي تصورها القصة في صورة الملكة المسترعية لرعيتها، والمحافظة على سلامة أمتها، والمنبهة على الأخطار التي تهددها. وبالرجوع إلى القصة يتبين لنا بجلاء هذا التصوير المعجز الذي جاء به السرد القرآني لصورة النملة الملكة، كما تحس ضمن السرد قيمة تلك المشاعر الكبيرة التي تخص بها الملكة ـ التي قيل أن اسمها "طاخية"[2]. أمتها النمل، ﴿**حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ**﴾ (النمل/18).

قال ابن عطاء في تفسير هذه الآية: "تكلمت النملة بكلام جمعت فيه **عشرة أجناس** من الكلام؛ **فنادت ونبهت وسمعت وأمرت ونصحت وحذرت وخصت وعمت وأشارت وأعذرت**. فأما النداء: **فيا** وأما التنبيه فقولها: **النمل**، وأما أمرت فقولها: **ادخلوا**، وأما نصحت فقولها: **مساكنكم**، وأما حذرت فقولها: **لا يَحْطِمَنَّكُمْ**، وأما خصت فقولها: **سليمان**، وأما عمت فقولها: **وجنوده**، وأما أشارت فقولها: **وهم**، وأما أعذرت فقولها: **لا**

[1]– مقدمة في الدراسات القرآنية: ص، 368.

[2]– الكشاف:353/3.

يشعرون"[1]، وأما **السمع** فيقال إنها "أحست بصوت الجنود وهي لا تعلم أنهم في الهواء"[2] ويقال إن سليمان عليه السلام سمع كلامها على بعد "ثلاثة أميال"[3]، وهذا القول الحكيم الذي صورته القصة القرآنية المعجزة هو الذي جعل سيدنا سليمان يتبسم ﴿ضاحكا من قولها﴾ (النمل/19).

لقد استطاعت القصة القرآنية في هذا التصوير الرائع والفريد، وفي هذا التكثيف والاختزال السردي المعجز أن ترسم لنا صورة النملة الملكة، التي تمكنت من تنبيه رعاياها من سليمان وجنوده، وتنبيه سليمان كي لا يحطم مملكة النمل التي ترعاها، وتنبيه المتلقي أنها ليست من جنود سليمان.

وإذا تبينا صورة النملة في ترجمة (عبد الله يوسف علي) نجدها كالآتي:

18- At length,when they came To a (lowly) valley of ants, one of the said: "O ye ants, get into Your habitations, lest Solomon and his hosts crush you (under foot) without knowing it. (p:942)

ومعنى قول (يوسف علي) هو:

"وعندما جاؤوا إلى واد (منخفض) للنمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم حتى لا يدوسكم سليمان وجنوده (تحت أقدامهم) وهم لا يعلمون".

وإذا تأملنا ترجمة يوسف علي لهذا التصوير تبينا أنه قد ابتعد كثيرا عن مراد القصة، وأنه لم يستطع أن ينقل ذلك التصوير القصصي المعجز. وكيف له أن يفعل ذلك، وقد عَجز قبله العرب الفصحاء.

وللنظر على سبيل المثال، لا الحصر، إلى لفظة "لَا يَحْطِمَنَّكُمْ" والتي ترجمها بـ "Crush you (Under Foot)"، والتي لا تصور المعنى الحقيقي لهذه اللفظة، التي تعني التكسير "يقال حطمت الشيء حطما؛ كسرته"[4]، واختيار القصة لهذا اللفظ دون غيره له غاياته الكبرى، فلقد بيّن العلم الحديث أن الله سبحانه وتعالى خلق النمل من ذرات من زجاج، والزجاج يحتاج إلى قوة من أجل التكسير فكانت لفظة "يَحْطِمَنَّكُمْ"، هي اللفظة المناسبة التي حملت المعنى الحقيقي للتكسير، وللنظر، كذلك، إلى الزيادة التي وضعها بين قوسين (Under Foot)، والتي تعني "تحت أقدامهم"، وهذا مما يشوه تصويرَ القصة الفريدَ والمعجزَ. أضف إلى ذلك

[1]- شرح الأربعين النووية: ص، 77.

[2]- الكشاف: ص، 355/3.

[3]- الكشاف: 3/ 353.

[4]- التحقيق في كلمات القرآن الكريم: 286/2.

أن هذه الإضافة التي وضعها المترجم بين قوسين رسمت صورة مخالفة لسليمان عليه السلام، فهو النبي الملك والنبي الحليم والرؤوف برعيته، وليس بالملك المتجبر.

إن ترجمة (عبد الله يوسف علي) لهذا المشهد لم تتمكن من حمل دلالته الحقيقة، ومن بين أسباب عجز الترجمة عن ذلك لغة القصَّة؛ التي تعد من بين أهم عناصر بناء القصة القرآنية المعجزة، وهو ما يؤكد مرة أخرى قوة السرد القرآني المعجز.

ثانيا: أحداث القصة

تتميز قصة سيدنا سليمان خاصة، والقصة القرآنية عموما، بخاصية انتقاء الأحداث المهمة وذكر تفاصيلها، مهملة بذلك الأحداث التي لا تخدم السرد القصصي في علاقته مع الدعوة النبوية، وسبب ذلك أن القَصَصَ القرآني عموما "لا يعنى بتسجيل الأحداث إلا إذا كانت ذات أهمية بالغة في الدلالة على قضية من القضايا التي يطرحها ويناقشها، أما ما وراء ذلك من الأحداث التي تنعدم أهميتها أو تقل"[1] فلا شأن للقص القرآني بها، وهذا ما نجده فعلا في قصة سليمان عليه السلام التي اختزلت وكتفت أحداثها، بحيث أنها لم تذكر ـ على سبيل المثال ـ أين كان سليمان وجنوده عندما أَتَوا على واد النمل؟ ولم تتوقف عند سبب غياب الهدهد عن أداء مهامه ولا عند المسافة التي قطعها، ولا عند مصير ملكة سبإ وقومها بعد إسلامهم.

ثم إن هناك خصيصة سردية يتميز بها القص القرآني، وهي أنه يراعي في تصوير أحداث القصة سياق السورة بشكل عام؛ أي أن القص القرآني يعرض في قصَّة من قَصَصِهِ الأحداث المناسبة للسورة، وهذا ما يفسر تفرد "سورة سبإ" بحدث موت سليمان دون غيرها، ﴿**فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ المَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَاتَهُ**﴾ (سبأ: 14)، فهذه السورة تتحدث عن نزع النعم التي أنعم الله بها على عباده، ولذلك ناسب ذكر حدث موته فيها، عكس سورة "النمل" التي تفردت بذكر نعم الله على سليمان عليه السلام. وهذا ما بين لنا مرة أخرى قوة القصة القرآنية وإعجازها السردي المتين.

تتعدد أحداث قصة سليمان وتتداخل فيما بينها، بحيث إنه يصعب على مستوى الترجمة، الوقوف مع كل حدث على حدة، لذلك فإننا سنتوقف عند حدث إحضار الجن عرشَ ملكة سبإ إلى سليمان؛ لما يتميز به هذا الحدث ـ في النص الأصلي ـ من خصوصية سردية فريدة، تكمن في قوة لغته ودقة تصويره وجمالية حواره.

[1]– أسس بناء القصة من القرآن الكريم: ص،47.

شكل حدث إحضار العرش في مسار أحداث القصَّة، نقطة تحول في قصَّة سليمان عليه السلام . في سورة النمل . فهو الحدث الذي بيّن للملكة صدق نبوة سليمان، وما أنعم به الله من قوة وملك وتسخير للطير والشياطين والجن. كما أنه الحدث الذي يصور لنا دخول ملكة سبإ في دين سليمان. وإذا تأملنا حضور هذا الحدث في القصة القرآنية، وقارنّاه بحضوره في الترجمة، تبين لنا ضعف لغته وتصويره وخلل حواره. ولنبدأ بأمر سليمان لملئه بإحضار العرش، ﴿**قَالَ يَا أَيّهَا الْمَلَأ أَيّكُمْ يَاتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْل أَنْ يَاتُونِي مُسْلِمِينَ**﴾ (النمل/39)، الذي ترجم بـ:

-38- He said (to his own men): "Ye chiefs! Which of you Can bring me her throne Before they come to me In submission? (p:946).

لقد عجزت الترجمة عن ايجاد مقابل للفظة (أيها الملأ)، التي ترجمتها بـ"Ye chiefs"، فلجأت إلى إضافة (to his own men) من أجل بيان أن هؤلاء "الزعماء" هم من "رجال" سليمان، وهي بذلك لا تقف عند المدلول الحقيقي للفظة (الملأ)، بالإضافة إلى أن عبارة (to his own men) التي وضعت بين قوسين، لا تشمل جنود سليمان من الشياطين والجن.

وانظر إلى ترجمة قول "العفريت": ﴿**قَالَ عِفْرِيت مِنْ الْجِنّ أَنَا آتِيك بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُوم مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ**﴾ (النمل: 39)، الذي ترجم بـ:

-39- Said an Ifrit, of the Jinns: "I will bring it to thee Before thou rise from thy Council: indeed I have Full strength for the purpose, And may be trusted". (p:946).

وهي ترجمة لا تحمل المعنى المراد من قول العفريت، فقوله:﴿لَقَوِيّ أَمِين﴾ بمعنى:"(لقوي) على حمله، (أمين) آتي به كما هو لا أختزل منه شيئا ولا أبدله"[1]، وهذا عكس ما جاءت به الترجمة في "indeed I have full strength for the purpose, and may be trusted" بمعنى "وعندي كل القوة لهذا الغرض وأني أهل للثقة"، لأن كلام العفريت في النص الأصلي يعود على عرش ملكة سبإ، في حين أن الكلام في النص الهدف يعود عليه. وبذلك تكون الترجمة قد غيرت مجرى الحوار في هذا الحدث.

غير أن هناك من له قوة أكبر من قوة العفريت، وهو أحد جند سليمان الذي آتاه الله علما من الكتاب، وهو الذي عرض على سيدنا سليمان أن يأتيه بعرش ملكة سبإ "قبل أن يرتد إليه طرفه، ولا يذكر اسمه، ولا

[1]- الكشاف: 364/3.

الكتاب الذي عنده علم منه، وإنما نفهم أنه رجل مؤمن على اتصال بالله، موهوب سرا من الله يستمد به من القوة الكبرى التي لا تقف لها الحواجز ولا الأبعاد"[1]، وقيل إنه "رجل كان عنده اسم الله الأعظم، وهو: يا حي يا قيوم..."[2]. ولننظر إلى قوله: ﴿**قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ**﴾ (النمل: 40) الذي ترجم بـ:

-40- Said one who had knowledge of the Book: "I will bring it to thee within The twinkling of an eye! (p:947).

ونلاحظ أنها ترجمة حرفية غير دقيقة في حمل معنى قول هذا "الجندي"، بحيث ترجمت ﴿علم من الكتاب﴾ بـ: "knowledge of the Book"؛ أي "معرفة من الكتاب"، وهذا بعيد عن معنى الذي جاء في التفسير "يعني اسم الله الذي إذا دعي به أجاب"[3]، كما ترجمت ﴿يرتد إليك طرفك﴾ أي: "امدد بصرك، فلا يبلغ مداه حتى آتيك به"[4] بـ"thee within The twinkling of an eye"، أي "سأحضره في رمشة عين"، وبذلك تكون الترجمة عاجزة عن تصوير سرعة نقل عرش ملكة سبإ، لأن قارئ القصة في النص الهدف سيستنتج أن هذا "الجندي" قد أحضر لسليمان العرش "في رمشة عين"، في حين أن "الجندي" أحضر العرش لسليمان، في النص الأصلي، في أقل من ذلك، وبذلك تكون الترجمة قد غيرت جزءا مهما من هذا الحدث.

والمتأمل لهذا الحدث في الترجمة، بشكل عام، يتوصل إلى عجز الترجمة عن نقله نقلا تاما، على الرغم من محاولتها الحفاظ على مشاهده الكبرى من قبيل: الحوار الذي دار بين سليمان عليه السلام وملكة سبإ عندما سألها عن عرشها، والذي سنتوقف عنده لاحقا، وكذلك المشهد الذي يصور دخول الملكة إلى الصرح الممرد، والذي لم تستطع الترجمة الحفاظ عليه، بحيث صاغته على الشكل الآتي:

-44- She was asked to enter The lofty Palace: but when she saw it, she Thought it was a lake of water, and she (tucked up her skirts), uncovering her legs. He said: "This is but a palace paved smooth with slabs of galass." She said: O my Lord! I have indeed wronged my soul: I do (now) Submit (in Islam), with Solomon, to the Lord of the Worlds. (p: 948).

وهذا عكس ما نجد في النص الأصلي:

---

[1]- في ظلال القرآن: 2641/5

[2]- الكشاف: 364/3.

[3]- تفسير الطبري: 78/21.

[4]- تفسير القرآن العظيم: 348/5.

﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ. قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (النمل: 44).

وإذا تأملنا هذا المشهد مليّا، اتضح أن الترجمة لم تحافظ على روعة تصويره، ولا على جمال لغته، ولا على فنية حواره، بالإضافة إلى عدم دقتها في اختيار المقابلات اللفظية كترجمة "لُجَّةً" بـ"lake of water" أي؛ "بحيرة من الماء" وهي بذلك تضيف كلمة "lake" وهي غير موجودة في النص الأصلي، وإن كان الهدف من هذه الإضافة تقريب المعنى من القارئ إلا أنها لا تحمل الدلالة نفسها للفظة "لجة".

ومن الإضافات التي كسرت جمالية تصوير هذا المشهد في الترجمة إضافتها لـ"(tucked up her skirts)"، بمعنى "رفعت لباسها"، وهي لم تقم بهذا الفعل وإنما كشفت عن ساقيها قليلا كي لا تبلل ثيابها من أجل الدخول إلى الصرح الذي حسبته ماء، "والصرح قصر في اليمن عالي البناء، والممرد أي: المبنى بناء محكماً أملس ﴿من قوارير﴾ أي: زجاج، وتمريد البناء تمليسه. والغرض أن سليمان عليه السلام اتخذ قصراً عظيما منيفا من زجاج، لهذه الملكة؛ ليريها عظمة سلطانه، وتمكنه، فلما رأت ما آتاه اللّه، تعالى، وجلالة ما هو فيه، وتبصرت في أمره انقادت لأمر اللّه تعالى وعرفت أنه نبي كريم، وملك عظيم، وأسلمت للّه عزَّ وجلَّ، وقالت: ﴿رب إني ظلمت نفسي﴾ أي: بما سلف من كفرها وشركها وعبادتها وقومها للشمس من دون اللّه ﴿وأسلمت مع سليمان للّه رب العالمين﴾ أي: متابعة لدين سليمان في عبادته للّه وحده لا شريك له، الذي خلق كل شيء فقدره تقديرا"[1].

وهذا الفهم الذي جاء به التفسير هو ما لم تقدر الترجمة على حمله وبيانه، فقارئ هذا المشهد لن يتمكن من تكوين الصورة الحقيقية التي جاءت في النص الأصلي، مما بين أن الترجمة بقيت عاجزة عن نقل هذا الحدث الفريد من قصة سليمان عليه السلام.

ثالثا: حوار القصة

يعتبر الحوار عنصرا مهما من عناصر بناء القصّة القرآنية، فهو المرآة التي نرى من خلالها قوة أصحاب القصة، وهو المعبر عن أسلوبهم وطبيعتهم والكاشف عن خفاياهم، ويعبر الحوار في القصة "عن المعنى المراد، مشيرا إلى بعض ما ترمز إليه القصة القرآنية، ويجعلها أكثر تعبيرا عن المعنى المقصود، ولا يمكن لأسلوب العرض التقريري أن

1- تفسير القرآن العظيم : 352/5.

يغني عن الحوار"[1] في القصة القرآنية؛ لأنها تسعى من خلاله إلى تقرير مبدأ الحجة والإقناع. وهذا ما سنعرفه من خلال دراسة أسلوب الحوار في قصة نبي الله سليمان عليه السلام.

بدأت قصة سليمان عليه السلام بأسلوب سردي تَضَمَّنَ نعمة العلم التي أنعم بها الله على داود وسليمان عليهما السلام، لتنتقل بنا إلى حدث وراثة سليمان لداود، دون الإطالة في تفصيل هذا الحدث، فحدث الوراثة ليس مهما مقارنة مع الأحداث التي قدمتها القصَّة في أسلوب سردي إعجازي فريد. ويمكن أن نلاحظ أن عنصر السرد يترك في بعض المرات مكانه لعنصر الحوار في تقديم الأحداث والأصحاب، فكل عنصر "من العنصرين يأتي في مكانه المناسب تماما في القصة القرآنية، فالحوار يأتي حين يجمل أن يكون العرض حواريا، والسرد يأتي حين يجمل أن يكون تقديم الحدث سردا، ولا يجوز أن يستبدل أي من العنصرين في مكانه بالعنصر الآخر، وفي القصة القرآنية نجد الانتقال من السرد إلى الحوار أو العكس يكون طبيعيا وسهلا"[2].

ومن صور هذا الانتقال المعجز. الذي لا يترك لك الفرصة كي تحس به . ما نجده، على سبيل المثال، في حوار الهدهد مع سليمان عليه السلام حين قال: ﴿**وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيَ أَنْ اشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ، وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنْ الْغَائِبِينَ، لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَاتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ، فَمَكُثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ**﴾ (النمل:19-22).

أنظر إلى هذا الانتقال الفريد في القَصة من دعاء سلميان لله بأن يجعله من عباده الصالحين الفائزين بالجنة، إلى تفقده للطير وسؤاله عن الهدهد، لتبدأ بذلك عملية الحوار بين سليمان والهدهد.

قال سليمان: ﴿**مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنْ الْغَائِبِينَ**﴾؟

اكتشف سليمان عليه السلام غياب الهدهد عن مكانه، بعدما تفقد الطير وتوعده بالعذاب الشديد، ما لم يأته بسلطان مبين. وهنا يأتي دور السرد بشكل سريع في عبارة موجزة معجزة ﴿فَمَكُثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾؛ أي "غير زمان بعيد، كقوله: عن قريب. ووصف مكثه بقصر المدة للدلالة على إسراعه خوفا من سليمان"[3]، فيعود الحوار مرة أخرى بشكل سهل وسلس، دون أن تحس بهذا الانتقال المفاجئ.

[1]- مقدمة في الدراسات القرآنية: ص،384.

[2]- أسس بناء القصة من القرآن الكريم: 216.

[3]- الكشاف: 357/3.

يجيب الهدهد قائلا: ﴿**أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ، إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ، وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ**﴾ (النمل: 22-24)

أنظر إلى هذا الجواب الذي قدمه الهدهد إلى سيده سليمان، إنه جواب مبني على الحجة والدليل، فالهدهد يتوخى من وراء جوابه إقناع سليمان بصحة نبئه، لذلك ذكر المكان أولا: ﴿وَجِئْتُكَ مِن **سَبَإٍ** بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾، ليبين له تحمل مشقة المسافة التي تفصل ما بين مملكة سليمان وسبأ، ثم يُفصل له بعد ذلك أجزاء هذا النبإ اليقين، يقول: ﴿**إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ**﴾، والهدهد في هذا الاستعظام "يجوز أن يستصغر حالها إلى حال سليمان فاستعظم لها ذلك العرش، ويجوز أن لا يكون لسليمان مثله وإن عظمت مملكته في كل شيء"[1]، وعلى الرغم من هذا الاستعظام فإن الهدهد يدرك أن ما يهم سليمان من هذا النبإ اليقين هو ما يخدم جانبه الدعوي ونشر دين الله، لذلك أخَّر حقيقة نبئه وأوجزها، في قوله: ﴿**وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ**﴾.

بعد أن أخبر الهدهد سيده سليمان بنبئه اليقين، أجابه قائلا: ﴿ **سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنْ الْكَاذِبِينَ**﴾. وهذا القول البليغ هو الرد الحكيم، فسليمان عليه السلام قبل أن يكون ملكا، فهو نبي والأنبياء يتصفون بالحكمة وبالعدل، وعدله هذا ظاهر في قوله: ﴿**اذْهَبْ بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِه إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ**﴾ (النمل:28)، وهو من خلال هذه الرسالة يريد أن يتأكد أولا من صحة نبأ الهدهد، ثم من حقيقة هذه الملكة وقومها ثانيا. وهذه عادة الأنبياء الحكماء الذين يتقصون الحقيقة بذكاء، والذين يختارون السِّلم قبل أن يجنحوا إلى القوة والجنود.

ويستمر الحوار في قصَّة سليمان عليه السلام، بين الملكة وقومها عندما ألقي إليها كتاب سليمان، قالت الملكة: ﴿**يَا أَيُّهَا المَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ، إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَان وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّه الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَاتُونِي مُسْلِمِينَ**﴾ (النمل: 29-31).

لقد جمعت الملكة مستشاريها وكبار قومها، لتخبرهم بأمر الكتاب الكريم، الذي لا تعرف من ألقاه إليها؛ لذلك قالت ﴿**ألقي**﴾ بصيغة المجهول، فحامل الكتاب مجهول الهوية، لكن صاحبه معلوم عندها ﴿**إنه من سليمان**﴾، الذي يأمرها أن تأتيه مع قومها طائعين مسلمين، ولأن أمر الكتاب يخصها وقومها، فقد توجهت

[1]- الكشاف: 358/3.

إليهم قائلة: ﴿**يَا أَيُّهَا المَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونَ**﴾، لقد استفتت الملكة ملأها، فأفتوها قائلين: ﴿**قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ**﴾ (النمل: 33)؛ "أرادوا بالقوة: قوة الأجسام وقوة الآلات والعدد، وبالبأس: النجدة والبلاء في الحرب"[1]، غير أنهم أوكلوا إليها الحسم في القرار الأخير قائلين: ﴿**وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَامُرِينَ**﴾ (النمل: 34)؛ "أي هو موكل إليك، ونحن مطيعون لك، فأمرينا بأمرك نطعك ولا نخالفك كأنهم أشاروا عليها بالقتال"[2].

لقد أشار الملأ على الملكة بالقتال؛ فهم أولو قوة وأولو بئس شديد، وهذا أمر طبيعي لأنهم يريدون أن يبينوا دعمهم لها ومساندتهم إياها، غير أنها تدرك خطر الحرب وويلاته، لذلك أجابتهم بقولها: ﴿**إِنَّ المُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً**﴾ (النمل: 35)، ولرجاحة عقلها وفطنتها وخبرتها اختارت اللجوء إلى الحيلة بدل القتال، وقالت لقومها: ﴿**وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ المُرْسَلُونَ**﴾ (النمل: 36).

يتمتع الحوار في القصة القرآنية بجمال اللفظ وسحر الإقناع وقوة التأثير، وهو ما يجسده الحوار الذي دار بين الملكة وملئها، بحيث يتبين لنا كيف سعى المتحاورون إلى إقناع بعضهم البعض بوجهات نظرهم، فالملأ قدموا الحجة للملكة على كونهم قادرين على القتال بدعوى أنهم ﴿أولوا قوة وأولوا بأس شديد﴾، وهذا "إيحاء بالقدرة على إحداث الخوارق والاستعداد لكل هول، والخبر هنا يفيد الفخر والاعتزاز ويدل على النفوذ الواسع وشدة البأس، كما عُبِّر عنه بضمير الجمع (نحن) وقالوا (أولوا قوة) ولم يقولوا أقويا؛ لأنها أبلغ في الدلالة وأعظم أثرا في النفس"[3]. غير أن حجة الملكة كانت أقوى من حجتهم فهي تعرف بأن ﴿الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة﴾، لذلك اختارت أسلوب الحيلة بدل القتال، ومجيء الحوار على هذه الطريقة في القصة القرآنية إنما يسعى إلى تأكيد "استقلال الإنسان ومسؤوليته عن اختيار فيما استخلف فيه"[4].

أما في ترجمة (يوسف علي) فقد جاء فيها الحوار ضعيف اللغة، باهت الصورة خالٍ من أي حجة أو إقناع، ومن أمثلة ذلك، حوار الهدهد مع سليمان عليه السلام، الذي قدمته الترجمة في أسلوب سطحي جاف. تقول الترجمة:

---

[1]- الكشاف: 362/3.

[2]- نفسه: 362/3.

[3]- الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية: 71.

[4]- أسس بناء القصة من القرآن الكريم: 220.

-22- But the Hoopoe tarried not far: he (came up and) said: "I have compassed (territory) which thou hast not compassed, and I have come to thee from Saba with tidings true. (p:943).

وقارئ هذا الكلام سيحس بالانتقال من السرد إلى الحوار، وهو انتقال بطيء أفقد القصة القرآنية، في النص الهدف، فنيتها السردية، بالإضافة إلى عدم فهم الترجمة للسرد كما جاء في النص الأصلي. وهذا ما نلاحظه من خلال ترجمتها لـ﴿فَمَكُثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ بـ"But the Hoopoe tarried not far: he (came up and)"، بمعنى "لكن الهدهد جلس غير بعيد ثم (جاء)"، وهي ترجمة بعيدة عن المراد الحقيقي لعبارة ﴿فَمَكُثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾، التي تدل على **زمن** غياب الهدهد، وليس على **مكان** جلوسه كما جاء في الترجمة.

وبالعودة إلى الحوار في الترجمة، سواء ذلك الذي دار بين سليمان والهدهد أو الذي دار بين الملكة وقومها أو الذي دار بين سليمان وملكة سبإ، نجده فقد سمته الحجاجية والإقناعية ونكته البلاغية، بحيث أصبح كلاما عاديا لا حياة فيه.

وانظر، على سبيل المثال، إلى حوار الملكة مع قومها في النص الهدف، سيظهر لك وبجلاء عجز الترجمة عن الاحتفاظ بجمالية الحوار القَصَصي ولغته الحجاجية والإقناعية، تقول الملكة:

-29- (The Queen) said: "Ye chiefs! Here is _ deliverd to me _ A letter worthy of respect. (p:945).

وإذا قارنا بين هذا الحوار وبين أصله في القصة القرآنية، سنلاحظ أن هناك اختلافا بين الحوارين، فهنا تخبر الملكة زعماءها "Ye chiefs" عن تسلمها لرسالة تستحق الاحترام " Here is _ deliverd to me _ A letter worthy of respect" وبهذا الإخبار يصبح حامل الرسالة إليها معلوما بينما هو مجهول في النص الأصلي. وانظر إلى ترجمة طلبها للفتوى من ملئها:

-32- Sh esaid: "Ye chiefs! Advise me in (this) my affair: no affair have I decided except in your presence. (p:945)

لقد ترجمت لفظة ﴿أفتوني في أمري﴾ بـ"Advise me in (this) my affair"، أي "انصحوني في أمري (هذا)" وهناك فرق كبير بين الفتوى والنصيحة؛ فالمقصود من الفتوى هو "الإشارة عليها بما عندهم فيما حدث"[1]. والفتوى لا تصدر إلا من الراسخين في العلم، في حين أن النصيحة قد تصدر عن غيرهم. وانظر كذلك إلى جواب قومها لها، بحيث تجده ضعيف اللغة بعيد المعنى:

[1]- الكشاف: 361/3.

-33- They said: "We are endued with strength, and given to vehement war: but the command is with thee; so consider what thou wilt command". (p:945).

وإذا تأملنا هذا الجواب نجده قد فقد نكته البلاغية التي جاءت بها القصة القرآنية؛ فهو لا يحمل تلك الثقة وذلك الفخر والاعتزاز الذي نجده في قولهم: ﴿نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد﴾، الشيء الذي لم تقدر الترجمة على بيانه في قولهم:"We are endued with strength, and given to vehement war". وانظر إلى لفظة "war" التي أضيفت إلى كلامهم دون وضعها بين قوسين، ولفظة "حرب" لم تأت بشكل صريح في قولهم وإنما جاءت بشكل ضمني تفهم من خلال السياق، وهذا ما يدل على عجز الترجمة في بيان حقيقة الحوار القصصي القرآني الذي يهدف إلى الحجة والإقناع.

رابعا: تصوير القصة

يعد التصوير من بين أهم العناصر الفنية . إلى جانب العناصر التي ذُكِرت . في قصَّة سليمان عليه السلام، فـ"التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن"[1]. والقصص القرآني عموما؛ لا يصف الأصحاب والأحداث والحوار بقدر ما يصورها تصويرا فنيا معجزا، واعتماد القص القرآني على أسلوب التصوير راجع إلى قوته في التأثير على نفوس متلقيه.

والمتأمل في قصة سليمان عليه السلام يكتشف أن التصوير لا يكتفي برسم عناصر القصة القرآنية من جوانبها الخارجية فقط، بل إنه يعمد إلى "تصوير ما في النفس، وتشكيل ما في القلب، حتى تعلمه وكأنك تشاهده"[2]، وكثيرا ما يشترك السرد والحوار و"جرس الكلمات، ونغم العبارات، وموسيقى السياق، في إبراز صورة من الصور، تتملاها العين والأذن والحس (...) والفكر والوجدان"[3].

ومن أمثلة جمالية التصوير في هذه القصَّة؛ تصويرها لتَبَسّم سليمان عليه السلام عندما سمع النملة وهي تحذر قومها منه ومن جنوده، ﴿**فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمتَ علي وعلى والدي**﴾ (النمل/19).

[1]- التصوير الفني في القرآن الكريم: 36.

[2]- إعجاز القرآن: 244.

[3]- التصوير الفني في القرآن الكريم: 37.

أنظر إلى روعة ودقة واختصار هذا التصوير الفني الذي جاء في لفظتين: ﴿فتبسم ضاحكا﴾؛ بمعنى "تبسم شارعا في الضحك وأخذ فيه، يعني أنه تجاوز حد التبسم إلى الضحك..."[1]، وهذا من الإعجاز التصويري الفني الذي يتميز به القصص القرآني، الذي لا يستطيع أحد محاكاة أسلوبه الثقيل. ولا يتوقف التصوير عند رسم لحظة التبسم وحدها في هذا المشهد الفريد، بل يتجاوز ذلك إلى تصوير حالة سليمان وهو متوجه إلى الله . في خشوع تام . شاكرا نعمه التي أنعمها عليه، قائلا: ﴿رب أوزعني﴾؛ بمعنى: "اجمعني كلي. اجمع جوارحي ومشاعري ولساني وجناحي وخواطري وخلجاتي وكلماتي وعباراتي، وأعمالي وتوجهاتي، اجمعني كلي، اجمع طاقتي كلها، أولها على آخرها على أولها (...) لتكون كلها في شكر نعمتك علي وعلى والديّ"[2].

وانظر كيف صورت الترجمة لحظة تبسم سليمان عليه السلام وشكره لله تعالى، عندما سمع قول النملة:

-19- So hesmiled, amused at its speech; and he said: "O my Lord! So order me that I may be grateful for Thy favours, which Thou hast bestowed on me and on my parents, and that I may work the righteousness taht will pleaseThee: and admit me, by thy Grace, to the ranks of Thy Righteous Servants.(p:942).

نلاحظ من خلال هذا المثال عجز الترجمة عن محاكاة أسلوب تصوير القصة القرآنية، وعجزها عن تصوير لحظتي التبسم والدعاء؛ فالتبسم في النص الهدف جاء بهذا المعنى: "So hesmiled, amused" أي؛ "فتبسم منتشيا" وهذا التصوير بعيد كل البعد عن التصوير الذي جاء في القصة القرآنية. أما الدعاء فقد جاء بهذه الصيغة: "...O my Lord! So order me that I maybegrateful for Thy favours"، وهي صيغة لا تساعدك على رسم صورة سليمان وهو خاشع لله شاكرا نعمه، وانظر إلى لفظة: "**So order me**"؛ أي "أمرني" في مقابل لفظة ﴿**أوزعني**﴾ التي تعني "اجعلني أزع شكر نعمتك عندي، وأكفه وأرتبطه لا ينفلت عني، حتى لا أنفك شاكرا لك"[3] وسليمان عليه السلام لم يطلب من الله أن يأمره، بل توجه إليه خاشعا متضرعا من خشيته سائلا إياه العون على شكر نعمه، لذلك جاءت لفظة "أوزعني" في مكانها المناسب مصورة لنا هذا المشهد الفريد.

خامسا: لغة القصة (The language of the *Story*)

لا يمكن الحديث عن قوة القصص القرآني وتفرد إعجازه . والقرآن الكريم عموما . دون الحديث عن اللغة، ليس لأنها من بين أهم عناصره، بل لأنها أحد أبطال القصَّة القرآنية، فكل العناصر المكونة للقصة والمؤسسة لها،

[1]- الكشاف: 354/3

[2]- في ظلال القرآن: 2636/5 وما بعدها.

[3]- الكشاف: 355/3.

لا تقوم إلا على اللغة؛ فأصحاب القصة يحتاجون إلى اللغة، والحوار القَصصي يتم عن طريق اللغة، والحدث يتم تصويره باللغة فاللغة، إذن، هي رَحَى القصَّة القرآنية، بحيث لا يمكن أن تقرأ أيّة قصة قرآنية دونما الوقوف على روعة نظم لغتها.

واللغة في قصة سليمان "تنهض بوظيفية سردية بنائية"[1]، كما لها دور كبير لا يقل عن دور الأصحاب والأحدث والحوار، فهي لغة "رائعة التصوير رفيعة المعنى، جميلة النظم عظيمة الدلالات، عميقة الإشارات"[2]. ومتأمل هذه القصة يتوقف عند بعض الألفاظ التي تبين قوة لغتها، فكل لفظة من هذه الألفاظ "تعبر عن الإعجاز، وتمثل جانبا من جوانبه، وتصور عظمة الأسلوب القرآني، ولا مجال لإبدال كلمة بأخرى أو لفظة بما يماثلها . إذ لكل لفظة موسيقاها الخاصة بها من حيث موقعها من الكلام، ومن حيث دقة تعبيرها عن المعنى المراد"[3].

ومن أمثلة ذلك توظيف الهدهد للفظة "نبإ" بدل "خبر" في قوله: ﴿وجيئتك من سبإ بنبإ يقين﴾ (النمل/22)؛ وهو "من محاسن الكلام الذي يتعلق باللفظ وشرط حسنه صحة المعنى، ولقد جاء ههنا زائدا على الصحة فحسن لفظا ومعنى، ألا ترى أنه لو وضع مكان (بنبإ) بخبر لكان المعنى صحيحا، ولكن لفظ النبأ أولى لما فيه من الزيادة التي يطابقها وصف الحال"[4].

وانظر كذلك إلى قوة اللغة في حوار سليمان عليه السلام مع ملكة سبإ عندما سألها عن عرشها حين قال: ﴿أهكذا عرشك﴾ (النمل/43)؛ "هكذا ثلاثة كلمات؛ **حرف التنبيه، وكاف التشبيه، واسم الإشارة**، لم يقل؛ أهذا عرشك، ولكن أمثل هذا عرشك، لئلا يكون تلقينا"[5]، وهذا السؤال فرض على الملكة أن تجيب جوابا حكيما فقالت: ﴿كأنه هو﴾ (النمل/43) "ولم تقل: **هُوَهُوَ، ولا ليس بهو**، وذلك من رجاحة عقلها"[6].

تكمن وظيفة اللغة الأساسية في قصة سليمان، إلى جانب كونها المؤشر الوحيد لبيان فنية القصة، في أنها تساعد باقي عناصر القصة في الالتحام فيما بينها، فعن طريقها تَخْلُقُ القصة الحَدثَ ومن الحدثِ يولد الأصحاب،

[1]- بنية السرد في الرواية العربية: 20.

[2]- مقدمة في الدراسات القرآنية: 371.

[3]- نفسه: 113.

[4]- التفسير الكبير: 174/12.

[5]- الكشاف: 366/3.

[6]- نفسه: 366/3.

وبها يَخْلُقُ أصحابُ القصة الحوار الذي بين لنا عن طريقة اللغة قيمة التصوير، وعن طريق كل هذه العناصر وفي ارتباطهما باللغة نكتشف فنية القصة القرآنية.

ومن أمثلة ضعف لغة الترجمة ما نجد مثلا في ترجمة كلام الهدهد الذي توقفنا عنده سابقا:

-22- But the Hoopoe tarried not far: he (came up and) said: I have compassed (territory) which thou hast not compassed, and I have come to thee from Saba with tidings true. (p:943).

وإذا تأملنا كلام الهدهد في القصة القرآنية، في النص الأصلي، وكلامه في النص الهدف، تبينا ركاكة الترجمة ولغتها، وضعف تأثيرها، وعجز تصويرها، وقلة حيلتها في نقل كلام الهدهد. فالهدهد في كلامه لم يستعمل " with tidings true"، وإنما استعمل لفظة "نبإ يقين"، وشتان بين "النبإ اليقين" و"الخبر الصحيح"؛ لأن النبأ "لا يكون إلا بما لا يعلمه المخبر"[1]، ولما فيه "من الزيادة التي يطابقها وصف الحال"[2].

وانظر كذلك إلى ضعف لغة الترجمة في الحوار الذي دار بين سليمان وملكة سبإ في المثال الآتي:

- 42-So when she arrived, she was asked, "Is this thy throne?" She said, It was just like this; …(p:947 - 948).

فسليمان عليه السلام عندما سأل ملكة سبإ عن عرشها قال: ﴿أهكذا عرشك﴾ (النمل/43). فحين نلاحظ أن الترجمة نقلت قوله بـ"**Is this thy throne?**" بمعنى؛ "هل هذا عرشك؟"، وهذا القول يفيد التلقين أكثر مما يفيد السؤال؛ أي أن ترجمة سؤال سليمان ـ عليه السلام ـ في النص الهدف، قد أفقده حكمته التي جاء بها النص الأصلي؛ لأن سليمان كان يرمي من ورائه اختبار الملكة هل تهتدي لمعرفة عرشها ﴿أم تكون من الذين لا يهتدون﴾ (النمل/41).

وانظر كيف نقلت الترجمة جواب الملكة "She said, It was just like this"، وهذا الجواب لا يبين رجاحة عقل الملكة وفطنتها، لأنه يفيد بأن هذا العرش ليس هو عرشها وأنما هو مثله.

والناظر في قصة سليمان في النص الهدف، سيتبين عجز وضعف الترجمة في محاكاة أسلوب ولغة القرآن، وأنى أقصى ما تملكه الترجمة هو تقديم لغة تقريبية من المعنى الصحيح الذي تحمله القصة في النص الأصلي، وهذا من الإعجاز اللغوي الذي تختص به القصة القرآنية.

[1]- الفروق في اللغة: 33.

[2]- الكشاف: 357/3.

خاتمة:

إن الحديث عن السرد القصصي في القرآن الكريم يتميز بازدواجية الرؤية؛ فبالقدر الذي يمكن الجزم بإمكانية وجود نظرية سردية خاصة بالقرآن الكريم، توصلنا إلى درره وتيسر لنا السبيل لبلوغ مقاصد قَصَصِه، بالقدر الذي لا يمكن لأي بشر، ولوكان بعضهم لبعض ظهيرا، الادعاء بأنه قادر على الوصول إلى مراد الله من هذا القَصَصِ. وهذا ما يتضح من خلال مقارنة أركان القصَّة القرآنية وبين ترجمة (عبدالله يوسف علي) لها، مما قادنا إلى الوقوف على مجموعة من النتائج، نسوق منها مايلي:

- ضرورة دراسة القصص القرآني من داخل القرآن وعدم اخضاعه لأية نظرية سردية، مهما كانت قوتها في تحليل القِصة البشرية.
- تميز القصص القرآني بأنساق سردية مهمة تجعله في مقام التأصيل والتأسيس والتنظير.
- تميز القصة القرآنية بخمسة أركان أساسية وهي: الأصحاب والأحداث، والحوار والتصوير واللغة.
- إن التصوير سمة خاصة بالسرد القصصي المعجز الذي أفحم كبار فصحاء العرب الذين تحداهم القرآن الكريم.
- تفرد القصص القرآني بعنصر اللغة الذي يمكن اعتباره أحد أبطال القصة القرآنية.
- عدم وعي الترجمة بالأنساق السردية الموجودة في القرآن الكريم، مما جعلها تتعامل مع القصص القرآني باعتباره نصا عاديا.
- ضَعف الترجمة في نقل الأركان التي بنيت عليها القصّة القرآنية.

المراجع:

القرآن الكريم برواية ورش.

1. الإعجاز الترجمي في القرآن الكريم نحو بناء نظرية بيانية لترجمة معاني القرآن الكريم: عبد الحميد زاهيد، ضمن سلسلة الترجمة والمعرفة، العدد 2، ط.1، عالم الكتب الحديثة، إربد . الأردن، 2012م.

2. الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية: محمود السيد حسن مصطفى، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية . مصر، ط. 1، 1981م.

3. أسس بناء القصة من القرآن الكريم، دراسة أدبية نقدية: محمد عبد الإله عبده، رسالة دكتوراه، 1996م.

4. بلاغة السرد القصصي في القرآن الكريم: محمد شرف خضر، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، دسوق، مصر، ط.1، 2013م.

5. بنية السرد في الرواية العربية الجديدة: عبد الملك مرتاض، جامعة وهران، ط. 3، 1994م.

6. التحقيق في كلمات القرآن الكريم: المصطفوي، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط.3، 2009م.

7. التصوير الفني في القرآن:سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط. 16، 2002م.

8. تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم: زغلول النجار، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة . مصر، ط. 1، 2008م.

9. تفسير التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون لنشر والتوزيع . تونس، د.ت.

10. تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ابن جرير الطبري (310) (المجلد 21)، تحقيق مكتب التبيان للدراسات الإسلامية وتحقيق التراث، دار ابن الجوزي، القاهرة . مصر، ط.1، 2009م.

11. تفسير القرآن العظيم: إسماعيل بن كثير(774هـ) (المجلد 5)، حققه أحمد محمد شاكر، دار الآثار للنشر والتوزيع، القاهر . مصر، ط.1، 2009م.

12. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي(هـ604) (المجلد 12)، تحقيق عماد زكي البارودي، المكتبة التوفيقية، القاهرة – مصر، د.ط.ت.

13. ثنائية النبوة والملك في قصة سيدنا سليمان: إبراهيم شعيب، مطبعة بن سالم الأغواط، الجزائر، ط. 1، 2009م.

14. الحكاية والتأويل، دراسات في السرد العربي: عبد الفتاح كيليطو، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء . المغرب، ط. 1، 1988م.

15. روائع الإعجاز في القصص القرآني، دراسة في خصائص الأسلوب القصصي المعجز: محمود السيد حسن، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية . مصر، د.ت.

16. شرح الأربعين النووية: أحمد حجازي، أخرج أحاديثه: حامد أحمد طاهر، دار الفجر للتراث، القاهرة . مصر، ط. 1، 2001م.

17. في ظلال القرآن: سيد قطب، (المجلد 5)، دار الشروق، القاهرة . مصر، ط. 28، 2009م.

18. القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته: فضل حسن عباس، ط.1، دار الفرقان، عمان . الأردن، ط. 1، 1987م.

19. قضية الإعجاز العلمي للقرآن الكريم وضوابط التعامل معها: زغلول النجار، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط. 3، 2008م.

20. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: الزمخشري، تحقيق محمد السعيد محمد، (المجلد 3)، ط.1، المكتبة التوفيقية، القاهرة . مصر ، ط. 1، 2012م.

21. مباحث في علوم القرآن: مناع القطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. 9، 1980م.

22. مدخل إلى القرآن الكريم: محمد عابد الجابري، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ط. 2، 2007م.

23. مستويات السرد الإعجازي في القصة القرآنية: شارف مزاري، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001م.

24. مقدمة في الدراسات القرآنية: محمد فاروق النبهان، مطبعة فضالة، المحمدية . المغرب، 1995م.

25. المنظار الهندسي للقرآن الكريم: خالد فائق العبيدي، دار المسيرة للنشر والتوزيع . عمان، ط. 3، 2009م.

26. The Meaning of The Holy Qur'an, Abdullah Yusuf Ali; New Edition with Revised translation; commentary and Newly compiled Comprehensive indix, amana publications. Beltsville, Maryland U.S.A. Edition 1429 AH / 2008 AC.